البحوث والدراسات

أحياء الدرعية التراثية: الوضع الراهن والتطوير المقترح

د. منصور بن عبدالعزيز الجديد

ملخص

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى التعريف بالأحياء التراثية في مدينة الدرعية ورصد الوضع الراهن في تلك الأحياء وتقديم المقترحات العمرانية والمعمارية المختلفة للتطوير وذلك لبناء أنموذج متكامل للعناية بالمناطق التراثية وعمران الواحات.

منهجية الدراسة: اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي من خلال البحث النظري والرجوع للمراجع التاريخية، وكذلك من خلال البحث الميداني والذي تمثل في العديد من الزيارات لمنطقة الدراسة واللقاء بالعديد من كبار السن من أهالي الدرعية وساكنيها.

نوعية الدراسة: تصنف الدراسة على أنها دراسة مسحية توثيقية لواقع الأحياء التراثية بمدينة الدرعية، واقتراح استثمارها بشكل فاعل ومستدام.

نتائج الدراسة: أظهرت الدراسة وجود عشرة أحياء تراثية قائمة بالدرعية تشترك في عناصرها العمرانية والمعمارية المميزة. وقد ركزت الدراسة على أهمية تطوير تلك الأحياء واستثمارها في برنامج تطوير الدرعية التاريخية.

الخاتمة: خلصت الدراسة إلى جملة من التوصيات المهمة والتي يأتي على رأسها ضرورة وجود مخطط شامل للدرعية بكافة أحيائها التاريخية والتراثية والحديثة وعناصرها البيئية والمادية، بما يضمن استيعاب مشاريع التطوير القائمة والمستقبلية وتحقيق الاستدامة بأبعادها المختلفة.

المصطلحات العلمية: التراث العمراني، العمارة التقليدية، الأحياء التراثية، العناصر العمرانية، برنامج تطوير الدرعية التاريخية، مخطط الدرعية الرئيس.

- تم تسليم البحث في 2017/5/17، عُدّل في 2018/6/20، أجيز للنشر في 2018/6/28.
Doi: http://doi.org/10.34120/0382-046-178-010

المقدمة:

إن قضية الوعي بالتراث العمراني بغرض توثيقه وحفظه واستثماره قضية بالغة الأهمية. فالوعي بالتراث يتطلب – بداية – الوعي بالذات وما تملكه من مقومات، وذلك بحد ذاته أمر ليس باليسير خاصة في المنطقة العربية التي يعيش فيها أبناء هذا الجيل صراعاً داخلياً بين ما يملكونه من تراث حضاري عظيم وما يعيشه البعض منهم من هزيمة معنوية وانبهار بواقع الحياة الحديثة ومنجزاتها في هذا القرن (الجديد، 1432هـ). وقد بدأت إشكالية فقد المواقع التاريخية تتشكل بوضوح منذ منتصف السبعينيات، وذلك عندما بدأت المملكة في وضع خطط التنمية عام 1970، وعندما بدأت طفرة النفط عام 1975، وتصاعد دخل الدولة والبدء في قروض صندوق التنمية العقارية؛ الأمر الذي أدى إلى هجرة السكان من أوساط المدن ومن القرى التاريخية إلى المناطق والأحياء الجديدة التي أتاحتها الموازنات الكبيرة للدولة. ومنذ ذلك الوقت حتى وقت قريب والمواقع التاريخية في تراجع مستمر (Al Saud, 2014). وقد أشارت بعض الدراسات إلى أن تطبيق أنماط التخطيط الحديثة وأنظمة البناء شبه الموحدة، واستخدام مواد البناء الحديثة المدعومة بشروط صندوق التنمية العقارية أنتجت عمراناً حديثاً تشابه على مستوى مناطق المملكة المختلفة (القرني، 2012). والحقيقة أنه يجب أن ينظر إلى المدن القديمة باعتبارها كياناً حياً، يجب المحافظة عليه، مع عدم إغفال ضرورة تلاؤمه مع التطورات الحالية؛ الأمر الذي يستدعي التعامل مع هذا الكيان، بجميع أبعاده العمرانية والمعمارية والاقتصادية والاجتماعية، بكثير من الشفافية (قندقجي، 2001). ولذا فمن الواجب توعية أجيالنا المعاصرة بأهمية التراث في الحفاظ على هويتنا المعمارية والعمرانية. والدرعية، بما حباها الله من موقع بيئي وحضري مميز وبما تملكه من مخزون تاريخي وحضاري فريد، تمثل نموذجاً تراثياً خاصاً يجب المحافظة عليه وتطويره والعمل على توظيفه لتحقيق العديد من الأهداف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والترفيهية لسكان الدرعية وزائريها.

هدف الدراسة ومنهجيتها:

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بأحياء الدرعية التراثية التي ينبغي صيانتها والمحافظة عليها وتوظيفها ضمن البرامج التطويرية التي بدأتها الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض. والعمل على استدامة تجربة برنامج تطوير الدرعية ورعايتها لتقديم أنموذج متكامل للعناية بالمناطق التراثية وعمران الواحات في شبه الجزيرة العربية واستثمارها بما يعود بالنفع والفائدة للأهالي والزائرين على مختلف شرائحهم. كما تهدف إلى رصد الوضع الراهن في كل حي من أحياء الدرعية التراثية، وتقديم المقترحات للتطوير المنشود للأحياء المختلفة بما يحقق التكامل فيما بينها ويخدم الأهالي والزائرين على حد سواء.

وقد اعتمدت الدراسة في تحقيق أهدافها على المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث تم جمع المعلومات من خلال البحث النظري والرجوع للمراجع التاريخية وغيرها التي تحدثت عن الدرعية، ودراسة أدبيات الموضوع، وكذلك من خلال البحث الميداني، الذي تمثل في العديد من الزيارات لمنطقة الدراسة واللقاء بالعديد من كبار السن من أهالي الدرعية وساكنيها.

الموقع الجغرافي والنشأة التاريخية:

تقع مدينة الدرعية إلى الشمال الغربي من مدينة الرياض، ولا يفصلها عنها سوى أقل من عشرين كيلومتراً. وتتوزع مناطق الاستيطان في الدرعية على ضفاف وادي حنيفة وروافده من الشعاب. وتعتبر الدرعية بموقعها الجغرافي المميز على وادي حنيفة من أبرز واحات الوادي الذي تميز بالاستقرار الحضري من أقدم العصور. وترجع نشأة الدرعية إلى منتصف القرن التاسع الهجري نحو سنة 850هـ (ابن عيسى، من دون).

وقد ظهرت الدعوة الإصلاحية في الدرعية، بعد أن ناصر حاكمها الإمام محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى[1] دعوة الإمام الشيخ محمد بن

(1) نشأت الدولة السعودية الأولى في الدرعية، وامتد نفوذها خلال الفترة 1157 – 1233هـ (1788 – 1818) .

عبدالوهاب. وقد بلغت الدرعية قمة ازدهارها في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز[2]. ويصف لنا ابن بشر[3] تلك الفترة التي عاصرها، فيقول: "ولقد رأينا الدرعية في زمن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمهم الله تعالى، وما فيه أهلها من الاموال وكثرة السلاح المحلى بالذهب والفضة وعندهم الخيل الجياد والنجايب العمانيات، والملابس الفاخرة، والرفاهيات، ما يعجز عن عده اللسان ويكل عن حصره الجنان والبنان" (ابن بشر، 1402هـ).

ولم يكن للدول الاستعمارية – آنذاك – اهتمام بنجد وأحداثها لشح مصادرها المادية وحصانتها الطبيعية بصحاريها الواسعة ضد أي هجمات يمكن أن تقوم بها تلك الدول الأسطولية. ولم يبد الإنجليز أي اهتمام بقيام الدولة السعودية الأولى إلا في عام 1210هـ/1787م حين أخذت تلك الدولة تمتد إلى مياه الخليج؛ مما أصبح يهدد استمرار سير بريدهم البحري والصحراوي ومصالحهم في شركة الهند الشرقية، ويثير قلقهم نتيجة محاولات الفرنسيين الاتصال بالدولة السعودية الأولى، وهو ما يتعارض مع أهدافهم في المنطقة (إبراهيم، 2013: أبو قايد، 1431هـ: بدول، 1409هـ).

وظلت الدرعية أشهر مدينة في وادي حنيفة خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين/ السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، إلى أن حيكت عليها المؤامرات وسار إليها إبراهيم باشا في حملته المعروفة؛ حيث وصلها في غرة جمادى الأولى 1233هـ (مارس 1818م)، وذلك على رأس قواته الغازية إبان حكم الإمام عبدالله بن سعود. وحدث بين الطرفين العديد من المعارك الضارية، ومن ثم محاصرة الدرعية لأكثر من ستة أشهر، إلى أن طلب الإمام عبدالله بن

(2) ولد الإمام سعود الكبير – رحمه الله – في الدرعية سنة 1165هـ، وتوفي فيها سنة 1229هـ.

(3) عاش ابن بشر – رحمه الله – خلال الفترة من 1210– 1290هـ.

سعود التفاوض مع إبراهيم باشا حول عقد الصلح وإنهاء الحرب؛ حقناً للدماء مقابل تسليم نفسه[4]. ودخل إبراهيم باشا الدرعية وبقي فيها تسعة أشهر وعاثت قواته فيها تدميراً وتخريباً.

التراث العمراني في الدرعية:

يعد التراث أحد أهم الرموز الأساسية لتطور الخبرة البشرية في التعامل مع الظروف المختلفة عبر التاريخ، ويعبر عن القدرات المختلفة التي وصل إليها الإنسان في التغلب على بيئته الطبيعية المحيطة. والتراث يعنى بكل ما تورثه الحضارات السابقة للحضارات اللاحقة، ويعم جميع العناصر المادية والمعنوية للمجتمعات من لغة وأدب وفكر وفلسفة ودين وعلم وفن وعمران. ويعرّف التراث العمراني على أنه كل ما شيّده الإنسان من مدن وقرى وأحياء ومبانٍ مع ما تتضمنه من فراغات ومنشآت لها قيمة عمرانية أو تاريخية أو علمية أو ثقافية أو وطنية، وإن امتد تاريخها إلى فترة متأخرة. (الهيئة العامة للسياحة والآثار، 1431هـ). ويعتبر العمران أحد أهم العناصر الأساسية للتراث، ويتميز عن غيره من العناصر التراثية بوجوده المادي مجدداً بذلك وجود حضارات الأجيال السابقة بصورة مباشرة لا تقبل الشك أو الجدل. كما يبرز التتابع لتجارب وقيم حضارية واجتماعية ودينية بين الأجيال[5].

لقد ظهرت في المملكة ودول الخليج خلال العقود القليلة الماضية ثروة نفطية هائلة أثرت على مجرى الاقتصاد في العالم بأسره. وقد أدى ذلك إلى اتصالات خارجية مكثفة حملت معها مؤثرات اقتصادية واجتماعية وثقافية ما

(4) وقد كان ذلك في 9 من ذي القعدة 1233هـ (9 سبتمبر 1818)، وأُرسل بعدها الإمام عبدالله بن سعود إلى مصر ومنها نقل إلى إستانبول؛ حيث قتل هناك – رحمه الله – عام 1234هـ (1819).

(5) موقع هيئة السياحة، https://www.scta.gov.sa)

لبثت أن انعكست على الكيانات العمرانية لمعظم المدن في المنطقة (الجديد، 2003). وعلى الرغم مما تميزت به الدرعية من تراث عمراني أصيل وأهمية تاريخية خاصة فإنها لم تسلم من ذلك التأثير الذي أدى إلى فقدان العديد من المناطق التراثية وخسارة الكثير من عناصر التراث العمراني فيها.

وتمثل الأحياء التقليدية في المدن العربية المعاصرة أصولاً ثقافية واقتصادية قيّمة ينبغي إن تطور سياسات حكومية للمحافظة عليها (Abdelmonem, 2012). كما تتطلب برامج الحفاظ الحضري في منطقة الخليج فهماً أعمق لضمان الاستمرارية الثقافية في المستقبل (Karmakar, 2012). فعلى الرغم من وجود وعي مبكر بأهمية تدخل بعض الجهات الحكومية في المملكة للحفاظ على التراث العمراني من خلال صدور نظام الآثار عام 1972م، إلا أن هذا النظام لم يطبق بشكل جيد ولم يصاحبه الآليات التشغيلية الفاعلة والكيانات المؤسسية القادرة على وضع الخطط الشاملة ورسم الأولويات في حماية المواقع التاريخية وتنميتها. وقد أدى هذا في كثير من الأحيان إلى وجود العديد من الجهود المبعثرة، ومن ذلك بعض الأعمال المبكرة لإعادة البناء والترميم لبعض القصور في الدرعية (Emrick et al., 1990).

وتزخر الدرعية بوجود كثير من عناصر التراث العمراني كالأحياء التراثية، والأسوار والحصون، والأبراج الدفاعية، والمساجد التراثية، ومصليات الأعياد، والآبار والمزارع القديمة، والقصور التاريخية، والبيوت الطينية، والأسواق المفتوحة، إلى غير ذلك. وسوف يتم التركيز في هذه الدراسة على الأحياء التراثية في الدرعية والتعريف بها، ووصف وضعها الراهن، مع تقديم مقترحات للتطوير المنشود لكل حي بما يتسق مع الصورة الإجمالية التي أقرتها الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض في إستراتيجيتها الشاملة الخاصة بتطوير الدرعية التاريخية.

أحياء الدرعية التراثية:

تضم الدرعية عدداً من الأحياء التاريخية التي لا تزال معروفة حتى اليوم مثل حي غصيبة، وحي الطريف، وحي البجيري، وحي الظهرة وحي المريح. وقد

نقل العجلاني عن مانجان[6] قوله: إن الدرعية تتألف من خمس مدن متجاورة يحيط بكل واحدة منها سور (العجلاني، 1414هـ). وذكر منها أحياء الطريف والبجيري وهي معروفة حالياً، إلا أنه يبدو أن هناك لبساً أو تحريفاً فيما نقله العجلاني بخصوص الغصيبي؛ فليس هناك حي بهذا الاسم، وإنما حي غصيبة وهو معروف ويعتبر من أقدم أحياء الدرعية، أما السهل فليس حياً مستقلاً إنما يمثل منطقة تجمع عدد من الأحياء المتجاورة.

ولعل فيما أورده ابن بشر عند حديثه عن حوادث سنة 1233هـ ما يشير إلى أبرز أحياء الدرعية خلال تلك الفترة على وجه أدق مما ذكره مانجان، خاصة أن ابن بشر عاصر تلك الفترة، بل زار الدرعية وعاش فيها، ولا تزال بعض تلك الأحياء تحمل تلك الأسماء إلى اليوم. يقول ابن بشر: "ووقع حرب وقتال شديد بين أهل السهل من أهل الدرعية وبين الروم، هذا وأهل السهل من أهل البجيري والحوطة والنقيب والمريح حافظين جهتهم ومنازلهم وعبدالله بن سعود ومن معه من الأعيان في منزلهم بين البابين باب الظهرة وباب سمحان، فلما رأى عبدالله بن سعود البوار انتقل من سمحان وقصد منزله في الطريف، وترك مخيمه ومدافعه وثقله في موضعه ذلك" (ابن بشر1402هـ). وقد أشار ابن بشر في هذا النص إلى عدد من أحياء الدرعية؛ فذكر منها أحياء البجيري والحوطة والنقيب والمريح (ضمن منطقة السهل)، وحي الظهرة، ومنطقة سمحان (حيث

(6) فيلكس مانجان مؤرخ فرنسي في عهد نابليون، ألف عدة كتب عن مصر أيام محمد علي باشا وعن الجزيرة العربية. وقد كتب مانجان في كتابه (تاريخ مصر في عهد محمد علي)، وذلك إثر سقوط الدرعية ، معرباً عن توقعه عودة قيام الدولة السعودية قائلاً: "ولكن ذلك البلد.. يضم في جنباته بذور الحرية والاستقلال، فما زالت المبادئ الدينية نفسها موجودة، وقد ظهرت منها بعض البوادر، ومع أن أسرة آل سعود قد تفرقت، ومع أن الفوضى تعم بين الزعماء، فما زال هناك أساس خصب يمكن للزمن والأحداث أن تجعله يتفتح من جديد" (Mengin, 1823).

كان معسكر الإمام عبدالله بن سعود) قبل انسحابه إلى حي الطريف وتحصنه فيه. وقد وردت إشارات متفرقة لبعض هذه الأحياء فيما دونه ابن بشر عند حديثه عن حروب الدرعية. كما وردت إشارات عدة إلى حي غصيبة، والحرب التي وقعت عليه وبعض المعارك التي حصلت بالقرب منه عند بداية حملة الباشا على الدرعية، ولم يورد ابن بشر ذكر حي غصيبة في النص المذكور أعلاه[7]؛ وذلك لبعده النسبي عن بقية أحياء الدرعية الأخرى، التي وقع عليها القتال في ختام حملة الباشا على الدرعية.

وهناك أحياء أخرى انطمست آثارها ولم يبق منها إلا القليل وقام على أنقاضها نخيل ومزارع ومبان جديدة مثل حي الظويهرة وحي النقيب وحي ملوي وحي الحويطة، وهذه الأحياء تقع في الناحية الشرقية من الوادي مما يلي حي البجيري (ابن خميس، 1395هـ). وجميع هذه الأحياء كانت موجودة بمنطقة السهل، التي يوجد فيها أيضاً حي السريحة، وهو حي معروف حالياً يقع إلى الغرب من حي البجيري، وقد أزيل غالبية هذا الحي ولم يبق منه إلا مسجده الطيني وبعض المساكن الطينية المحدودة المجاورة له. ولم أجد، فيما اطلعت عليه من مصادر، من أشار إلى وجود هذه الأحياء بهذه التسمية إبان الدولة السعودية الأولى. وقد أفادني بعض كبار السن من أهالي الدرعية بمعرفتهم بأحياء الظويهرة وملوي ضمن منطقة السهل إلى قبل نحو أربعين عاماً، وذلك بالإضافة إلى أحياء البجيري والمريّح والسريحة المعروفة حالياً (الشكل 1).

(7) إلا أن ابن بشر أورد ذكر حي غصيبة في عدة مواضع عند حديثه عن حروب الدرعية وحملة إبراهيم باشا عليها. فقد كان الحي يقع في شمال الدرعية؛ حيث كانت بداية الهجوم قبل أن يتوجه الباشا إلى أحياء وسط الدرعية وجنوبها.

الشكل (1) – مسار وادي حنيفة وروافده في منطقة الدرعية ومواقع أحياء الدرعية التراثية على جنبتي الوادي من سد العلب شمالاً إلى مشارف بلدة عرقة جنوباً

ونظراً لما تمثله الدرعية من رمز وطني مهم وما تلقاه من اهتمام متزايد على جميع المستويات، فإن هذه الدراسة تسعى إلى التعريف بالأحياء التراثية في مدينة الدرعية مع بيان واقعها الراهن ومستقبلها المنشود في ظل برنامج تطوير الدرعية التاريخية، الذي بدأته الهيئة العليا لتطوير مدينة الدرعية بحي البجيري الذي تم افتتاحه وحي الطريف الذي لا تزال أعمال التطوير قائمة فيه، ومن المتوقع افتتاحه للجمهور نهاية العام.

حي غصيبة:

حي غصيبة هو موضع نشأة الدرعية وقاعدتها حتى عام 1100هـ، ويعتبر

أقدم أحياء الدرعية التي لا تزال آثاره بادية للعيان. ويقع الحي في شمال غرب الدرعية مفصولاً عن أحياء الدرعية التاريخية الأخرى. وقد ورد ذكر حي غصيبة في عدد من المصادر التاريخية التي تحدثت عن تاريخ نجد، ومن ذلك ما أورده ابن بشر في حوادث سنة 1233هـ؛ حيث قال: "وحمي الوطيس وصار قتالاً شديداً قتل بين الفئتين قتلى كثيرة ...، وتفرق أهل الدرعية في بلدهم كل أهل منزلة قصدوا منزلتهم وترسوا في سورها ودورها وقصد سعد بن عبدالله ابن سعود قصر غصيبة المشهور الذي بناه سعود بن عبدالعزيز وجعل بابه من حديد فدخله واحتصر فيه ومعه عدة رجال من الأعيان وغيرهم وجر الباشا القبوس والقنابر على القصر فحاربه حرباً لم ير مثله، وثلم رؤوس البروج والجدران ...إلخ" (ابن بشر، 1402هـ).

الوضع الراهن لحي غصيبة:

لايزال حي غصيبة معروفاً بهذا الاسم حتى الآن، ولم أجد في المصادر التي اطلعت عليها سبباً لتسميته بهذا الاسم أو أسباب انتقال مقر الحكم منه إلى حي الطريف، والجدير بالذكر أن هذا الحي لم يسكن بعد تدميره إلى اليوم. ومن أبرز معالمه، بخلاف سوره وأبراجه، آثار مسجده المطل على وادي حنيفة، وكذلك بقايا قصر غصيبة المشهور في وسط الحي. والحي محاط بسور سميك مبني بالطين والحجارة تقع عليه عدد من أبراج الحماية والمراقبة وفيه بوابة في منتصف الجزء الشمالي منه، ويبدو أنها كانت المعبر الرئيس إلى داخل الحي المحصن من جميع جهاته.

ويوجد في الجزء الجنوبي الغربي من الحي ساحة صخرية[8] يطل عليها معلم لا تزال جدرانه الخارجية باقية غير مسقوفة لم تهدّم كبقية الحي ويبدو من آثاره أنه كان بيتاً للمال أو مخزناً للحبوب؛ حيث توجد بعض آثار أحواض الحبوب في زاويته الجنوبية الشرقية. كما يوجد في جوار ذلك المبنى وقريباً من جداره الغربي بئر

(8) يطلق عليها باللغة العامية "صفاة"، وعادة ما تستخدم لعملية استخراج الحبوب من الزرع المجفف في عملية كانت تعرف محليا بـ "الدياسة".

صغيرة قد حفرت في الصخر. ولا يبعد كثيراً عن تلك البئر والساحة باتجاه الشمال الغربي مسجد الحي الذي يطل مباشرة على الوادي، ولا يوجد بالحي آثار لمسجد سواه (الشكل 2). ولم يحظ هذا المسجد بأي أعمال حفريات أو كشف، فهو باق على الحال التي تم تهديمه عليها إبان حملة الباشا على الدرعية، وشأنه في ذلك شأن جميع الحي الذي لم يتم فيه سوى الكشف عن سوره وإعادة بنائه.

الشكل (2) – حجم الدمار الكبير الذي لحق بحي غصيبة التاريخي، وأبرز بقايا معالم الحي، المتمثلة في مسجد الحي وآثار قصر غصيبة المشهور

التطوير المنشود لحي غصيبة:

يعاني الحي من الإهمال والتعديات التي تحيط به، وقد وصلت في فترات سابقة إلى وسطه من خلال وضع سياج لضم أجزاء من هذا الحي إلى بعض المزارع المجاورة، إلا أنه، والحمد لله، قد تم إزالة تلك التعديات التي في داخل الحي وأعيد بناء سور الحي مؤخرا. وعلى الرغم من محاصرة الأملاك الخاصة

والتعديات للحي من الخارج، وعدم اطلاعي على برنامج واضح للمحافظة عليه واستثماره، فإنه لا تخفى مكانته التاريخية وتحصيناته المميزة التي تستوجب الاهتمام به وتوظيفه ضمن برامج تطوير الدرعية وبرنامج تطوير وادي حنيفة. ويمكن الإشارة إلى أبرز نقاط التطوير المنشود للحي في النقاط الآتية:

- استثمار الحي الذي اندرست معظم معالمه من خلال استخدامه كموقع تعلمي وبحثي لطلاب وأعضاء هيئة تدريس الكليات ذات العلاقة؛ وذلك للقيام بأعمال الرفوعات المساحية وتعرف تخطيط الحي وعناصره العمرانية والقيام بأعمال التنقيبات.
- إعادة بناء مسجد الحي بعد الكشف والتنقيب عن أساساته وذلك بالأسلوب نفسه الذي كانت تبنى بها المساجد النجدية إلى ما قبل نحو 50 عاماً، والاهتداء في ذلك ببعض العناصر الباقية من المسجد أو تلك التي تظهر من أعمال التنقيب. واستثمار المسجد لأداء الصلوات للمتنزهين في هذا الجزء من الوادي وكذلك لمرتادي الحي والعاملين فيه عند تطويره.
- استكمال وترميم المعلم الواقع في جنوب غربي الحي واستثماره كمركز إعلامي مصغّر يخدم الحي والمعالم التراثية القريبة منه.
- تطوير الساحة المطلة على الوادي والواقعة بالقرب من مسجد الحي، وذلك في تقديم العروض لطلاب المدارس والزائرين عن تاريخ الدرعية بشكل عام وعن تفاصيل الحي بشكل خاص.

حي الطريف:

يعتبر حي الطريف[9] أهم أحياء الدرعية التاريخية؛ لاحتضانه أهم المباني

(9) بتسكين الطاء، وليس ضمها، وهي طريقة لفظ أهل الدرعية لاسم هذا الحي حتى الآن، وهو مخالف لبعض اللوح الإرشادية التي ضمت فيها الطاء ولم أطلع في المصادر التي رجعت إليها من أشار إلى سبب التسمية بهذا الاسم، ولعل هذه التسمية تعود لكونه يقع على طرف هضبة محصّنة طبيعياً تحفها المزارع والنخيل من ثلاث جهات.

الأثرية والقصور والمعالم التي كانت تدار منها شؤون الدولة السعودية الأولى. ويضم هذا الحي معظم المباني الإدارية التي من أشهرها قصر الحكم ويسمى "سلوى"، وكانت تدار منه شؤون الدولة. كما يشتمل الحي على بيت المال وقصر الضيافة والحمام وقوع[10] الخيل والمساجد وجامع الإمام محمد بن سعود، بالإضافة إلى قصور الأمراء ومنازل الخدم والمماليك. ويحيط بحي الطريف سور خاص به يلفه من جوانبه كافة، وعليه عدة أبراج كانت تستخدم لأغراض المراقبة والدفاع عن الحي.

وقد كان حي الطريف آخر أحياء الدرعية سقوطاً في حروب إبراهيم باشا على الدرعية؛ فقد احتل الباشا موقع الإمام عبدالله بن سعود في جبل سمحان بعد انسحابه منه إلى الطريف وتحصنه فيه. ويقول ابن بشر في هذا الشأن: "فلما رأى عبدالله بن سعود البوار انتقل من سمحان وقصد منزله في الطريف، وترك مخيمه ومدافعه وثقله في موضعه ذلك، ثم إن الباشا أقبل بقبوسه وقنابره ومدافعه ومن كان معه من العساكر ونزل منزل عبدالله ووجه قبوسه إلى باب الظهرة ورماها رمياً عظيماً... ووقع الحرب الهايل على أهل الطريف من كل جهاته من جهة المغرب والمشرق وجهة الجنوب والشمال، فاستدار الروم عليه ووجه الباشا قبوسه وقنابره ومدافعه إليه فرماه من رأس جبل سمحان وثارت البنادق واشتعلت نارها من كل جهة، وذلك بتدبير الذي كل يوم هو في شأن، فثلمت مقاصير آل سعود بالقبوس وخرقت... فلما رأى عبدالله ذلك بذل نفسه للروم وفدى بها عن النساء والولدان والأموال، فأرسل إلى الباشا وطلب المصالحة، فأمره أن يخرج إليه فخرج إليه وتصالحا على أن يركب إلى السلطان فيحسن إليه أو يسيء" (ابن بشر، 1402هـ).

ويعتبر حي الطريف من أوائل أحياء الدرعية التي تم إعادة إعمارها من قبل

(10) يطلق لفظ "القُوع" على الحضيرة، ولا يزال أهالي الدرعية يستخدمون هذه اللفظة إلى وقت قريب.

الأهالي بعد رجوعهم لبلدتهم بعد رحيل الغزاة عنها. ويرجع السبب في ذلك إلى جودة القصور الطينية في هذا الحي وسهولة إعمارها أو أجزاء منها، وذلك باستخدام مواد البناء المتبقية من عملية التدمير. وقد كان هذا الحي مأهولاً بالسكان إلى نحو عام 1400هـ؛ حيث نُقِلوا إلى حي جديد سمي بحي الطريف الجديد، وذلك في مخططات الدرعية الحديثة.

الوضع الراهن لحي الطريف:

لا تخفى أهمية حي الطريف في تاريخ المملكة، وقد اكتسب الحي أهمية إضافية وذلك بتسجيله في قائمة التراث العالمي التابعة لليونسكو، خلال اجتماع اللجنة في دورتها الرابعة والثلاثين التي عقدت في شهر شعبان 1431هـ في مدينة برازيليا بالبرازيل. وهو ما يمثل اعترافاً عالمياً بالمكانة التاريخية والتراثية لمدينة الدرعية التاريخية. وحي الطريف التاريخي مغلق حالياً أمام الزوار؛ وذلك لاستكمال أعمال التطوير القائمة التي تهدف إلى إبراز قيمة الحي التاريخية في كونه مقراً للحكم في الدولة السعودية الأولى، واحتضانه أهم معالم الدرعية وقصورها ومبانيها الأثرية. والعمل جار في مشروع تطوير الحي، الذي تبلغ مساحته نحو مائة ألف متر مربع؛ لتحويله إلى موقع تاريخي أثري متحفي، تتعدد فيه جوانب العرض ما بين الشواهد المعمارية، والبيئة الطبيعية، والعروض التفاعلية، والأنشطة الحية، وتوفير الخدمات اللازمة للزوار من طرق وممرات، ومرافق خدمية، ووسائل تعريفية ولوحات إرشادية وغيرها.

وقد تم الانتهاء من أعمال البنى التحتية في الحي، وكذلك أعمال الرفع المساحي وأعمال الترميمات وأعمال العناصر الإضافية الحديثة، والعمل جار لاستكمال تنفيذ الأعمال المتحفية في خمسة متاحف متخصصة بالإضافة إلى سوق تراثي وساحة مطاعم، وتجهيز نزل تراثية تتمثل في 50 مسكناً، مخصصة للإيجار اليومي. وقد استكملت أجزاء كبيرة من خطة التطوير للحي، ويتوقع افتتاحه أمام الزوار بداية العام القادم؛ بمشيئة الله.

التطوير المنشود لحي الطريف:

لعل في الجهود التي تبذلها الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض في تطوير حي الطريف ما يغني عن اقتراح أبعاد تطوير جديدة، خاصة أن الحي لم يفتتح حتى الآن للزوار، ولم تتبين أي نقاط ضعف أو ثغرات في خطة التطوير الجاري استكمالها للحي. إلا أنه – من واقع الإقبال الكبير الذي حظي به مشروع حي البجيري من قبل الزوار – منذ افتتاحه حتى الآن– هناك بعض المقترحات التي يمكن إجمال أبرزها في الآتي:

- ضرورة إعطاء موضوع الحركة ومواقف السيارات وغيرها وكذلك الوصولية للموقع بشكل عام، اهتماماً خاصاً قبل افتتاح الحي أمام الجمهور؛ تجنباً لتفاقم المشكلة الحالية في هذا الشأن.
- من المهم استفادة الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض من الدروس التي مرت بها في إدارة حي البجيري خلال الفترة الماضية وتوظيفها في مشروع تطوير حي الطريف، خاصة ما يتعلق بالجوانب التنظيمية والتوعوية.
- ضرورة استثمار التقنية في توجيه وإرشاد الزوار؛ فالحاجة إلى ذلك سوف تكون أكبر بكثير مقارنة بالتطوير الذي حصل للبجيري؛ نظراً لكبر حي الطريف وترامي أطرافه وتعدد الأنشطة المقترحة فيه.

حي البجيري:

يتوسط حي البجيري[11] منطقة الدرعية التاريخية؛ حيث يقع بين حي الظهرة وحي سمحان من جهة وحي الطريف وحي المريح من جهة أخرى، وذلك في منطقة يُطلِق عليها أهالي الدرعية إلى قبل نحو ثلاثة عقود منطقة

(11) بتسكين الباء، وهي طريقة لفظ أهل الدرعية لاسم هذا الحي حتى الآن، وهو مخالف لبعض اللوح الإرشادية التي ضُمت فيها الباء.

"السهل"[12]. وهي ليست حياً مستقلاً وإنما تمثل مجموعة من الأحياء المتجاورة، لعل أبرزها حي البجيري التاريخي.

وقد شهد هذا الحي نمواً وازدهاراً قوياً بعد أن سكنه الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الذي يبدو أنه اختاره على غيره من الأحياء بسبب قربه من مركز الحكم في حي الطريف. وقد أصبح هذان الحيان، طوال عهد الدولة السعودية الأولى، مركز نشاط سياسي وديني وثقافي واقتصادي؛ ومن ثم مركز جذب سكاني (المطوع، 1424هـ). وأصبحت الدولة تدار من هذين الحيين المتقابلين خاصة في المراحل الأولى من تأسيسها. وقد كان هذا الحي مقصد أنصار الشيخ ومؤيديه الذين توافدوا على الدرعية من شتى البلاد النجدية وغيرها، وذلك بالإضافة إلى كونه مقر سكنى الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأبنائه وتلامذته. وقد كان به مسجد الشيخ ومدرسته أو ما أسماه البعض مجمعاً دراسياً يسع مائتي رجل، وخصص فيه جزءاً للنساء (العيسى، 1417هـ). ويبدأ النشاط العلمي بعد صلاة الفجر فيدخلون هذا المجمع، وكان " فيه معاميل[13]، وقهوة وما نابها[14] مقوم به[15] من بيت المال (ابن قاسم، 1388هـ: العريني، 2003)، وقد كان يدرس به أبناء الشيخ حسين وعبدالله وعلي.

وقد قاوم سكان هذا الحي حملة إبراهيم باشا على الدرعية سنة 1233هـ مقاومة شرسة، وكان في مقدمة المدافعين الشيخ عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب[16] – رحمهما الله – وكان شجاعاً مقداماً؛ حيث وقف الشيخ عبدالله

(12) يرجع تسمية هذه المنطقة بهذا الاسم إلى انخفاض منسوبها عما جاورها من الهضاب بالإضافة إلى خصوبتها؛ حيث تلف مزارع النخيل أجزاء كبيرة من هذا السهل الذي يشرف على وادي حنيفة قبالة حي الطريف التاريخي.

(13) أدوات تحضير القهوة ونحوها.

(14) أي ما تستلزمه من حاجات ومتطلبات.

(15) أي متكفل به.

(16) ولد الشيخ عبدالله في الدرعية سنة 1165هـ، برز في عدة علوم، وله مؤلفات ورسائل مهمة. عرف بالشجاعة، توفي في مصر حين نقل إليها سنة 1242هـ. انظر مشاهير علماء نجد ص48، وعلماء نجد 1/48.

شاهراً سيفه، وقاتل قتال الأبطال قائلاً كلمته الخالدة: "بطن الأرض على عز خير من ظهرها على ذل"[17]. ويصف ابن بشر طرفاً من تلك المعارك فيقول: "فشمر وشهر سيفه عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وانتدب، واجتمع عليه أهل البجيري ونهضوا على الروم من كل جانب كأنهم الأسود، وقاتلوا قتالاً يشيب من هوله المولود، فأظلمت الهجيرة كأنها الليل، وصريخ السيوف في الرؤوس كأنه صهيل الخيل، فأخرجوهم منها صاغرين، وقتلوا من الروم عدة مئين، حتى قال لي بعض من حضر ذلك: لو حلفت إني من الموضع الفلاني إلى الموضع الفلاني لم أطأ إلا على رجل مقتول لم أحنث" (ابن بشر، 1402هـ).

وقد طال هذا الحي من التهديم والحرق ما طال أحياء الدرعية التاريخية وذلك من قبل القوات الغازية بعد استسلام الدرعية. وقد أعيد عمارة الحي وسكناه في فترة لاحقة بعد رحيل الباشا عن منطقة نجد، واستمر الأهالي فيه إلى أن تم نزع ملكيات معظم الحي لصالح الدولة، وذلك قبل نحو أربعة عقود، وانتقل معظم سكان الحي بعد ذلك إلى أحياء الدرعية الحديثة بعد أن منحوا قطعاً سكنية وقروضاً من قبل الدولة. واستمر عدد محدود منهم في سكنى الحي في المساكن التي لم تنزع ملكيتها وذلك إلى نحو سنة 1417هـ، وذلك بالإضافة إلى بعض العمالة الوافدة التي اتخذت من بعض مساكن الحي مكاناً لإقامتها خاصة في الدور التي تطل على الشارع العام من الناحيتين الشرقية والشمالية للحي، وأعيد بناء بعض مساكنها بالمواد الحديثة.

وقد قامت كلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك سعود بالتعاون مع الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض في رسم برنامج تدريبي للطلاب في صيف عام 1417هـ لإعادة تأهيل جزء من الحي والحفاظ على ما تبقى من نسيجه العمراني؛ حيث تم ترميم ممر عذيبة[18] وواجهات بعض المباني والدور والساحات الواقعة

(17) من سير الأئمة في قلب الجزيرة العربية، موقع الشيخ د. عبدالعزيز بن محمد العبداللطيف www.alabdultif.net.

(18) هي سكة ضيقة لا يتجاوز عرضها مترين ونصفاً تتوسط حي البجيري وتطل عليها مجموعة من المساكن الطينية كانت تربط ما بين الشارع العام وساحة مسجد الظويهرة شمالاً وجامع الشيخ محمد بن عبدالوهاب جنوباً.

عليه. وقد تم توثيق تلك التجربة من خلال بحث عرض في المؤتمر الدولي الأول للتراث العمراني في الدول الإسلامية (الجديد، 1432هـ). وقد مثلت هذه التجربة، وما لقيته من دعم وإشادة من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان، باعثاً ومحفزاً لمزيد من الاهتمام بالبجيري. واستمر الوضع على ذلك إلى أن تم في عام 1425هـ إعادة عمارة مسجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب على حساب أجزاء كبيرة من النسيج العمراني للحي. وقد قامت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض قبل نحو 5 أعوام بالشروع في تنفيذ مقر لمؤسسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الثقافية، وذلك على أجزاء كبيرة من هذا الحي أيضاً، ودخل ضمن ذلك إعادة تشكيل مسجد الشيخ وربطه بمقر المؤسسة مع التطوير الذي لحق كامل منطقة السهل، وذلك فيما أطلق عليه "مشروع البجيري" الذي رعى افتتاحه خادم الحرمين الملك سلمان، حفظه الله[19].

الوضع الراهن لحي البجيري:

يتمثل الوضع الراهن لحي البجيري في التطوير الذي لحق معظم منطقة السهل ضمن مشروع تطوير الدرعية التاريخية، وذلك على مساحة بلغت أكثر من 60 ألف متر مربع، تجاوزت فيها مساحة التطوير حي البجيري التاريخي نفسه إلى عدد من الأحياء التاريخية الأخرى. وقد اشتملت مشاريع التطوير التي تم تنفيذها مقراً لمؤسسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الثقافية، وساحة رئيسة، ومكتباً للخدمات الإدارية، مع تطوير المنطقة المطلة من الحي على وادي حنيفة، وترميم مسجد الظويهرة، إلى جانب أعمال الطرق ومواقف السيارات وشبكات المرافق العامة.

وتعد المنطقة المركزية في وسط الحي هي الحاضنة الأساسية للفعاليات المفتوحة والخدمات التجارية لزوار الحي، وترتبط هذه الساحة بمواقف عامة للسيارات تقع أسفلها تستوعب أكثر من 230 سيارة. وتحتوي الساحة على العديد من المحالّ التجارية. وتشرف من جهتها الجنوبية الغربية على متنزه

(19) تم الافتتاح يوم الخميس 20 جمادى الآخرة 1436 هـ، الموافق 9 أبريل 2015.

الدرعية الذي يشغل منطقة الوادي الواقعة بين حي الطريف وحي البجيري، ويحوي العديد من الأماكن المخصصة للأسر للجلوس، إضافة إلى المسطحات الخضراء والتدرجات الحجرية. كما تتصل الساحة في جهتها الشمالية الغربية بحديقة أطلق عليها "المطوية" نسبة لإحدى المزارع القديمة في هذه المنطقة. وقد تم ربط حي البجيري والتطوير الذي تم فيه مع حي الطريف على الضفة الأخرى لوادي حنيفة من خلال جسر أطلق عليه "جسر الشيخ محمد بن عبدالوهاب"، وذلك في المنطقة الواقعة في قبلة جامع الشيخ (الشكل 3).

التطوير المنشود لحي البجيري:

لا شك أن التطوير الذي تم لحي البجيري مثّل نقلة نوعية من خلال المنشآت الجديدة التي شيدت بالحي وعناصر تنسيق الموقع من حدائق وغيرها، وذلك على الرغم من تجاوز نطاق التطوير حدود الحي المعروفة تاريخياً إلى أحياء أخرى في منطقة السهل. إلا أن التركيز في التطوير على الجوانب التجارية والترفيهية تعارض إلى حد ما مع هدف المشروع الأساس، وهو إبراز قيمة الحي الثقافية عبر تطوير منشآته الثقافية والعمرانية، وتوظيف عناصره المختلفة. ولعل في إنشاء مؤسسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الثقافية[20]، ما يكسر من حدة هذا التعارض القائم الآن، وذلك عند تشغيلها. ويمكن إجمال أبرز المقترحات التي تخص هذا الحي في الآتي:

- أهمية تشغيل مؤسسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الثقافية بأسرع ما يمكن لتعمل على تقديم تعريف شامل بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله– وتأكيد دور المملكة القيادي في العالم الإسلامي.
- ضرورة أن تقوم مؤسسة الشيخ بإبراز جهود المملكة في تبنِّي المنهج

(20) تم افتتاح مقر المؤسسة ضمن حفل افتتاح حي البجيري، إلا أنه لم يتم تشغيلها حتى الآن. والمؤسسة هيئة علمية معنية بتقديم تراث الشيخ العلمي والفكري، والعناية بمدرسته الفكرية، والاهتمام بالدراسات العقدية والدعوية المتخصصة، وخدمة الباحثين في مجالها، وتحمل المؤسسة أبعاداً ثقافية عالمية في التواصل الفكري، والاهتمام بالدعوة.

الوسطي المعتدل في تطبيق الإسلام والدعوة إليه، وإبراز العلاقة الوثيقة بين الدولة والدعوة، من خلال تبنيها ونصرتها لها.

- العمل على إبراز قيمة الحي الثقافية من خلال استثمار جامع الشيخ محمد بن عبدالوهاب[21] ومسجد الظويهرة في توضيح النقلة العلمية والثقافية التي انطلقت من الدرعية ووصل أثرها إلى مناطق عديدة في العالم الإسلامي، وذلك من خلال إقامة بعض الفعاليات المناسبة من دروس ومحاضرات وندوات وغيرها.
- أهمية العمل على حل مشكلة حركة السيارات التي تجاوز ضررها مرتادي الحي إلى الأهالي، مع العمل على توفير المزيد من المواقف في المناطق المناسبة، والبحث في بدائل النقل المناسبة، وذلك قبل افتتاح حي الطريف، الذي من المتوقع أن يفاقم من هذه المشكلة إذا لم يؤخذ ذلك بالحسبان.

المصدر: متحف الصور بالدرعية

الشكل (3) – حي البجيري التاريخي على يمين الصورة وحي الطريف التاريخي على يسارها ومجرى وادي حنيفة بينهما، ويعلوهما الجسر الرابط بين الحيين، الذي أطلق عليه جسر الشيخ

(21) يعتبر جامع الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالبجيري الجامعة الأولى في نجد التي خرجت الأجيال من علماء الدعوة السلفية.

حي المريّح:

يعتبر حي المريِّح[22] من الأحياء التاريخية ضمن منطقة السهل، ويقع إلى الجنوب من حي البجيري التاريخي، وتلفُّ هذا الحي مزارع النخيل من جميع جهاته باستثناء جزء محدود من واجهته الغربية التي يطل بها على مجرى وادي حنيفة. ولا يزال هذا الحي يحتفظ باسمه إلى الآن على الرغم من أنه قد تم إزالة مساكن هذا الحي وبعض عناصره، مثل مسجد الحي ضمن مشروع تطوير الدرعية التاريخية من قبل الهيئة العليا لتطوير الرياض، ولم يتبق سوى بعض المزارع الخاصة.

الوضع الراهن لحي المريِّح:

على الرغم مما لحق حي المريِّح من تدمير في ختام حملة إبراهيم باشا على الدرعية، شأنه في ذلك شأن بقية أحياء الدرعية. إلا أن هذا الحي تم إعادة إعماره من قبل الأهالي الذين عادوا بعد جلاء الباشا عن الدرعية. وقد استمر سكنى هذا الحي إلى نحو عام 1400هـ؛ حيث انتقل الأهالي إلى أحياء الدرعية الحديثة، وقد تسبب ذلك في تدهور حالة معظم المساكن الطينية وإزالة بعضها، وإعادة بناء بعضها الآخر بالمواد الحديثة. واستمر سكنى حي المريح من قبل بعض الأسر الفقيرة والعمالة إلى أن تم نزع كافة الملكيات وإخلاء الحي تماماً في شعبان من عام 1435هـ. كما تم إزالة مساكن الحي ومسجده لاحقاً ووضع سياج حوله تمهيداً لتطويره من قبل هيئة تطوير الرياض، ولايزال الوضع كذلك إلى وقت إعداد هذه الدراسة (الشكل 4).

التطوير المنشود لحي المريِّح:

لقد ورد تطوير حي المريِّح في الخطة التنفيذية للهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، وذلك فيما يخص أعمال التطوير العام داخل نطاق حدود برنامج تطوير

(22) حي المريّح، بتشديد الياء، من أحياء الدرعية التاريخية، وقد ورد ذكره في بعض المصادر التاريخية التي تحدثت عن الدرعية.

الدرعية التاريخية، بهدف رفع مستواها الحضري. وقد أُشير إلى أن هذا الحي سيتم تحويله إلى بستان من النخيل يأخذ الطابع التنظيمي للبساتين القديمة.

ونظراً لأنه قد تم إزالة جميع مباني الحي، فقد يكون التطوير المنشود لحي المريِّح هو إعادة بنائه وتأجيره كسكن لفئة مختارة من الأسر المنتجة من أهالي الدرعية وسكانها الأصليين وغيرهم وفق ضوابط خاصة توضع في هذا الشأن بما يضمن هذا الحي ويحقق أنموذجيته، ويؤكد إسهامه في تحقيق الشراكة المجتمعية للأهالي في المشاريع التطويرية. ويمكن إجمال أبرز المقترحات التي تخص هذا الحي في الآتي:

- إعادة البناء للحي وفق مخططه الأصلي، وذلك بالرجوع إلى الصور الجوية والخرائط والمخططات القديمة للحي. مع مراعاة أن تكون عملية إعادة البناء بالمواد التقليدية ولكن بأسلوب حديث ومطور مثل استخدام تقنيات الطوب الطيني المضغوط أو التربة المدكوكة من خلال مقاولين متخصصين ولديهم المعرفة والخبرة الكافية في هذا النوع من البناء.
- أهمية تبني إدخال التقنيات المناسبة لجميع الأنظمة من تكييف وكهرباء وسباكة وتصميم داخلي وغيرها عند إعادة بناء الحي، وأن يكون ذلك بأسلوب اقتصادي ومدروس يضمن التوفير في كلفة البناء وكلفة التشغيل ويكون أنموذجاً يحتذى في الإسكان الميسر.
- ضرورة إعادة بناء مسجد المريِّح، الذي تمت إزالته في فترة سابقة، وذلك في مكانه الأصلي وباستخدام التقنيات المطورة للبناء الطيني على غرار ما نفذته الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض في مسجد المدي بمنطقة المربع.
- العمل على تنسيق المنطقة المحيطة بالمسجد، وكذلك مزارع نخيل الحي المطلة على الوادي بما يحقق توفير المكان المناسب للأسر المنتجة لعرض منتوجاتهم، سواء تحت ظلال النخيل أو على مدرجات

تطل على الوادي أو في محالّ ترتبط بالوادي وتكون مصممة بشكل تراثي مناسب.

- مراعاة تصميم المناطق المفتوحة من الحي وما تحمله من عناصر معمارية وأن تكون بأسلوب مميز يسهم في جذب الزوار ويوفر احتياجاتهم، مع توفير الخدمات الكافية لهم من حيث دورات المياه ومواقف السيارات، التي يمكن أن تكون أسفل الحي.

مصدر الصورة السفلية: وليام فيسي، ١٩٩٩

الشكل (4) – الصورتان العلويتان تمثلان حي المرّيح بعد إزالته، في حين توضح الصورة السفلية النسيج العمراني لحي المرّيح قبل الإزالة، ويلاحظ مسجد الحي وسط الصورة.

حي الظهرة:

يقع حي الظهرة إلى الجنوب الشرقي من حي سمحان، ويمثل هذا الحي مرحلة انتقالية بين منطقة السهل من جهة ومنطقة الهضبة المنبسطة أو ما يسمى بسمحان من جهة أخرى. وربما ترجع تسميته بهذا الاسم لكونه مرتفعاً عن بطن وادي حنيفة[23] وعن أحياء منطقة السهل التي تقع إلى الجنوب الشرقي منه. وقد هدم هذا الحي في حملة إبراهيم باشا على الدرعية شأنه في ذلك شأن أحياء الدرعية الأخرى آنذاك. إلا أنه برحيل الباشا عن الدرعية بعد تدميرها، رجع الكثير من الأهالي إليها وأعادوا إعمارها، ومن ذلك حي الظهرة، ثم توسع العمران في الدرعية وتجاوزه إلى ظهرة سمحان المجاورة له من الناحية الغربية. وقد هدمت أجزاء كبيرة من هذا الحي لاحقاً؛ وذلك لتوسعة الطريق العام. كما هدمت أجزاء أخرى في فترة لاحقة لإقامة مقر بلدية الدرعية القديم وإعادة بناء مسجد الحي، الذي يعرف بمسجد العقيلي وتوسعته، ومدرسة البنات المجاورة له التي أزيلت في وقت لاحق.

الوضع الراهن لحي الظهرة:

على الرغم مما لحق حي الظهرة من تدمير وإزالة لإقامة بعض المشروعات التنموية، إلا أنه لا تزال الأجزاء الجنوبية الشرقية المطلة على متنزه المطوية[24] تحتفظ ببعض المساكن الطينية التي أعيد بناؤها بعد تدمير الدرعية، وهي الآن محاطة بسياج مؤقت من قبل الهيئة العامة للسياحة والآثار. وعلى الرغم مما تعانيه تلك المباني الطينية من تلف وتدهور نتيجة العوامل الجوية وغيرها على

(23) يطلق أهالي الدرعية إلى وقت قريب لفظ "الباطن" على مجرى وادي حنيفة.

(24) هو مجموعة من المزارع الخاصة التي تقع على الضفة الشمالية لوادي حنيفة في هذه المنطقة، فتم نزع ملكيتها وتطويرها كمتنزه عام مواجه لإطلال حي الطريف، وقد افتتح هذا المتنزه خلال افتتاح مشروع البجيري.

مدى أكثر من ثلاثة عقود، فإن العمل جار على تطوير تصميم لفندق تراثي في هذا الشريط المتبقي من حي الظهرة.

وقد استكملت الهيئة العامة للسياحة والآثار مؤخراً الأعمال الميدانية المتعلقة بمشروع إعادة تأهيل الحي وتحويله إلى فندق تراثي؛ حيث قامت الشركة المكلفة[25] إجراء الدراسات البيئية، وإعداد الدراسات الميدانية، التي شملت الرفع المساحي والمعماري، ورفع الأنقاض وكشف الأساسات، وتقييم الحالة الإنشائية للمباني التراثية، وتحليل التربة، وإنهاء الدراسات التاريخية. ويجري العمل حالياً على تحليل نتائج تلك الدراسات، وإعداد التصاميم المعمارية والمخططات التنفيذية وإعداد وثائق للمشروع تمهيداً للتنفيذ.

التطوير المنشود لحي الظهرة:

يشتمل حي الظهرة على عدد من المباني الطينية التي تم نزع ملكيتها لصالح الدولة ويقدر عددها بنحو خمسة وثلاثين مبنى سكنياً طينياً، بعضها من طابق واحد وبعضها الآخر من طابقين. وتتميز معظم تلك المباني الطينية باكتمال عناصرها المعمارية التي يمكن ترميمها ومعالجتها وإعادة استخدامها. ولعل التطوير المنشود لهذا الحي وعناصره المختلفة يتسق مع ما طرحته الهيئة العامة للسياحة والآثار ويستثمر الدراسات التي قامت بها في هذا الصدد؛ وذلك لتحويل تلك الوحدات السكنية التراثية إلى فندق تراثي. وقد وضع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود – حفظه الله – حجر أساس هذا الفندق لدى رعايته حفل افتتاح حي البجيري بالدرعية التاريخية. ويمكن إجمال أبرز المقترحات التي تخص هذا الحي في الآتي:

- التعجيل بتنفيذ مشروع فندق سمحان التراثي، المزمع إقامته في هذا الحي؛ ليكون أول فندق تراثي متخصص على مستوى المملكة، وذلك من خلال المحافظة على المباني القائمة في هذا الحي.

(25) المجموعة الإسبانية الدولية للترميم.

- العمل على تميز هذا المشروع وتفرده من خلال تجسيده البيئة المجتمعية والثقافية والاقتصادية، وعكسه لنمط الحياة في الدرعية ممثلة في هذا الحي التاريخي.
- من المهم استشعار إن تطوير هذا الحي كنُزل تراثي مميز سوف يسد ثغرة كبيرة في توفير مكان لائق ومميز للنزلاء الذين يزورون الدرعية ويرغبون في تعرف ما تملكه هذه البلدة من إمكانيات طبيعية وبيئية وعمرانية وتاريخية خاصة.
- ضرورة أن يشمل تطوير مشروع الفندق المباني المجاورة له كمسجد العقيلي من الناحية الشمالية الشرقية، وذلك لينسجم مع روح التطوير المقترحة للمنطقة، وكذلك مبنى بلدية الدرعية القديم مع العمل على توظيفه كمتحف متخصص للنخيل والتمور والمنتجات المرتبطة بها وطرق الزراعة المحلية.

حي السريحة:

يقع حي السريحة إلى الغرب من حي البجيري التاريخي، وذلك في منطقة السهل، وعلى الرغم من قرب هذا الحي من أحياء الدرعية التاريخية كالطريف والبجيري ووجوده ضمن منطقة السهل، فإنه لم يرد له ذكر عند ابن بشر. ولم أجد، فيما اطلعت عليه من مصادر، من أشار إلى وجود هذا الحي بهذه التسمية إبان الدولة السعودية الأولى. ولعل حي السريحة سُمّي بدلاً من اسم الحوطة أو النقيب اللذين ذكرهما ابن بشر ضمن منطقة السهل؛ حيث لا توجد أحياء معروفة بأي من هذين الاسمين حالياً في منطقة السهل التي لا يزال معروفاً فيها حي البجيري وحي المريح التاريخيان.

الوضع الراهن لحي السريحة:

تلفّ مزارع النخيل هذا الحي من جميع جهاته بما في ذلك الجهة الشرقية التي يشرف بها على منطقة التطوير المرتبطة بالبجيري؛ حيث حديقة المطوية ومتنزه الدرعية، وقد تم تطوير أجزاء من المزارع الشرقية لهذا الحي وضمت

للمتنزه. وأزيلت بعض مساكن هذا الحي الطينية خلال العقود الماضية وضم بعضها الآخر للمزارع المجاورة ولم يتبق سوى مسجد الحي الطيني الذي يحتفظ بطرازه النجدي القديم وبعض المنازل الطينية القريبة منه التي تعاني من تدهور وتهدم ملحوظ.

التطوير المنشود لحي السريحة:

نظراً لموقعه المميز ومجاورته لحديقة المطوية ومتنزه الدرعية من جهة وتوسطه بين أحياء الدرعية التاريخية من جهة أخرى، فقد يكون التطوير المقترح لهذا الحي هو الاهتمام بتطوير مسجد الحي وترميمه على غرار ما تم في مسجد الظويهرة بحي البجيري؛ وذلك لخدمة المتنزهين. كما يمكن إجمال أبرز المقترحات الأخرى التي تخص هذا الحي في الآتي:

- تفعيل دور المسجد بإقامة دورات لتصحيح التلاوة وتعليم أساسيات اللغة العربية للراغبين من غير الناطقين بالعربية من الزائرين وتقديم بعض الدروس والمحاضرات المناسبة.
- العمل على تطوير وترميم المساكن الطينية المحدودة المتبقية من هذا الحي والمجاورة للمسجد وتخصيصها للإمام والمؤذن والحارس تحفيزاً لهم على مزيد من الاهتمام بالمسجد وتفعيل دوره في هذه المنطقة التي تعج بالمتنزهين في منطقة البجيري وما حولها.

حي سمحان:

يقع حي سمحان إلى الشمال من حي الطريف التاريخي ولا يفصله عنه سوى مجرى وادي حنيفة الذي ينعطف قليلاً إلى اتجاه الشرق ليعود إلى مساره متجهاً إلى الجنوب، وذلك قريباً من حي البجيري. وسمحان لم يكن حياً مأهولاً وإنما كان هضبة منبسطة تقع في مقابل الجهة الشمالية لحي الطريف. ولعل ما يؤكد ذلك ما أورده ابن بشر في حديثه عن حروب الدرعية مما يشير إلى أنها كانت معسكراً للإمام عبدالله بن سعود قبل انسحابه وتحصنه في حي الطريف (ابن بشر، 1402هـ، 415–416).

الوضع الراهن لحي سمحان:

حي سمحان حديث نسبياً مقارنة بأحياء الدرعية الأخرى كغصيبة والطريف والبجيري وغيرها، ولعله قد نسب إلى الهضبة التي بني عليها وهي ما كانت تعرف بجبل سمحان، كما ذكر ذلك ابن بشر. وقد ذكر لي بعض كبار السن من أهالي الدرعية الذين كانوا يسكنون بحي سمحان نفسه إلى عام 1400هـ أن معظم المساكن الطينية الموجودة الآن في هذا الحي إنما عمرت ابتداء على أرض بيضاء. وقد قام بعضهم بنفسه ببناء مسكنه على تلك الأرض الجرداء التي لا يوجد بها أي معالم أو آثار باستثناء أطلال السور؛ حيث دروازة سمحان[26] وبرج سمحان[27]. وتعاني معظم مساكن الحي الطينية من التدهور نتيجة الإهمال وسوء الاستخدام من قبل عمال الشركات وغيرهم من العمالة والفقراء الذين يتخذون من الحي سكناً لهم لرخص أسعار الإيجار فيه مقارنة بأحياء الدرعية الحديثة (الشكل 5). وقد قام بعض الملاك بهدم بعض المساكن الطينية وإعادة بنائها بالمواد الحديثة، في حين تهدمت بعض المساكن وأصبحت خرائب ومكبات للنفايات ومواقف للسيارات التالفة والمعطلة، وتعذر على أصحابها إعادة بنائها لعدم توافر الدعم المالي، والتعقيد والبيروقراطية وعدم الوضوح في بعض الإجراءات البلدية.

التطوير المنشود لحي سمحان:

يتميز حي سمحان بموقعه كحلقة ربط بين أحياء الدرعية التاريخية من جهة، والأحياء الحديثة من جهة أخرى. كما يتميز بوجود العديد من العناصر العمرانية والمعمارية التي يمكن المحافظة عليها وترميمها وإعادة استثمارها بشكل أفضل بعد إجلاء العمالة إلى موقع آخر خارج المناطق التراثية. ويمكن إجمال أبرز المقترحات التي تخص هذا الحي في الآتي:

(26) يطلق أهالي نجد هذا الاسم على البوابات الموجودة على الأسوار.

(27) ما تزال آثار هذا البرج موجودة بوسط مركز التنمية الاجتماعية إلى الشمال من مسجد الملك فيصل رحمه الله.

- من المهم وضع بعض الضوابط والتشريعات الميسرة والمحفزة للأهالي لترميم أملاكهم وفق مواصفات خاصة وتقديم بعض القروض والدعم الفني لهم في ذلك؛ مما يمكنهم من ترميم المباني الطينية وتطويرها وتوظيفها كسكن للأسر المنتجة أو نزل تراثية تؤجر للسياح أو مطاعم أو مقاهٍ شعبية تقدم خدماتها لمرتادي الدرعية التاريخية وفق مخطط مدروس وضوابط محددة.

- العمل على تطوير المساجد الموجودة بالحي والعناية بها واستثمارها في رفع المستوى الثقافي للزائرين، وهي ثلاثة مساجد، أهمها جامع سمحان الذي يتوسط الحي، ومسجد الطليحي الذي يتوسط الجهة الغربية من الحي، ومسجد الملك فيصل الذي يقع ضمن حدود مساحة كبيرة خصصت لمركز التنمية الاجتماعية بالدرعية[28].

- من المهم استثمار الساحات القريبة من المساجد كسوق مفتوحة لبيع المواد والمنتجات التراثية وبضائع الأسر المنتجة. ويتم التركيز على الساحة التي تقع إلى الشرق من جامع سمحان، وكانت تستخدم قديماً كمكان مفتوح للأهالي للقاء في مناسبات الأعياد وغيرها، وتوظيفها في إقامة المناسبات والفعاليات المختلفة، وتوفير مكان مناسب لبيع الخضراوات والفاكهة الطازجة والتمور ضمن سوق مصغرة للمزارعين المحليين.

- إقامة معهد لتنمية الحرف التقليدية مع سوق صغيرة تحوي العديد من المحالّ لبيع المنتجات الحرفية، وذلك ضمن موقع مركز التنمية الاجتماعية بالقرب من برج سمحان إلى الشمال من مسجد الملك فيصل، مع العمل على تطوير كامل موقع المركز وربطه بشكل أفضل مع الأحياء المجاورة.

(28) أنشئ مركز التنمية الاجتماعية بالدرعية كأول مركز على مستوى المملكة، وذلك في عام 1380هـ.

حي الروقية:

يقع حي الروقية على الضفة الشرقية لوادي حنيفة، وذلك إلى الغرب من حي سمحان الذي كان يفصله سابقاً عن حي الروقية أرض بيضاء لا يوجد عليها أي معالم سوى جزء من سور الدرعية. أما في الوقت الحاضر فقد اتصل العمران بين الحيين من خلال شريط من العمارات السكنية على طريق الإمام محمد بن سعود إلى الجنوب من مركز التنمية الاجتماعية بالدرعية. ولم أجد، فيما اطلعت عليه من مصادر، من أشار إلى وجود هذا الحي بهذه التسمية إبان الدولة السعودية الأولى. ويشير بعض كبار السن من أهالي الدرعية إلى أن هذا الحي استوطنه بعض أوائل أبناء البادية ممن استقروا في الدرعية بعد رحيل الغزاة ورجوع الأهالي إليها.

الوضع الراهن لحي الروقيّة:

يتميز حي الروقيّة بموقعه المتوسط بين أحياء الدرعية القديمة والجديدة بالإضافة إلى قربه من مركز التنمية الاجتماعية بالدرعية ووجوده بالقرب من أحد الطرق المؤدية إلى بطن الوادي (الشكل 5). وقد تم إزالة معظم مساكن هذا الحي الطينية وإعادة بناء بعضها الآخر بالمواد الحديثة، بما في ذلك مسجد الحي الذي يتوسطه. وتعاني معظم مساكن الحي من التدهور نتيجة الإهمال وسوء الاستخدام من قبل عمال الشركات وغيرهم من العمالة الذين يتخذون من الحي سكناً لهم لرخص أسعار الإيجار فيه مقارنة بأحياء الدرعية الأخرى.

التطوير المنشود لحي الروقيّة:

على الرغم من صغر مساحة هذا الحي، فإنه نظراً لموقعه المميز وقربه من مركز التنمية الاجتماعية، فقد يكون التطوير المقترح لهذا الحي هو إخلاؤه من العمالة التي تسكنه والعمل على تطوير مسجد الحي والمساكن الحديثة الموجودة فيه بشكل تراثي يتسق مع التطوير في أحياء الدرعية الأخرى. ويمكن إجمال أبرز المقترحات الأخرى التي تخص هذا الحي في الآتي:

- ترميم المساكن الطينية الباقية بالحي واستخدامها كسكن للمدربين في مركز التنمية الاجتماعية والباحثين من زوار الدرعية.
- تطوير المناطق المفتوحة وشوارع الحي وخاصة منطقة مسجد الحي وما حولها وربطها بشكل مناسب مع الشارع العام الموصل إلى الوادي من خلال ساحة لمواقف السيارات، وكذلك ربط هذه الساحة مع مركز التنمية الاجتماعية.
- إقامة بعض المحالّ التجارية التقليدية والمكتبات التراثية على الشارع العام التي توفر المستلزمات التي يحتاج إليها الزائرون والباحثون.
- تطوير المشاتل على طرفي الجسر وتحسينها وتوفير أماكن مناسبة لأصحابها لبيع منتجاتهم ومواقف لزبائنهم.

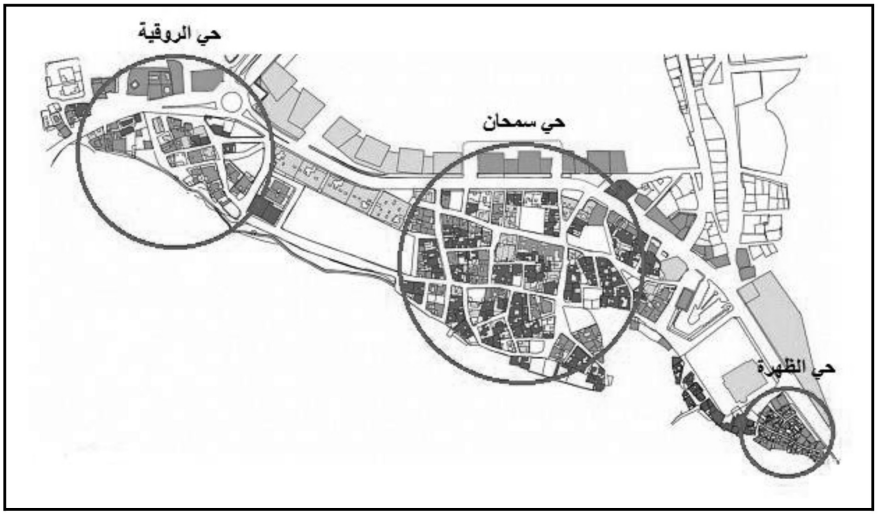

المصدر: الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض

الشكل (5) – حي الظهرة وحي سمحان وحي الروقية التي تمثل حلقة الوصل بين أحياء الدرعية التاريخية وأحيائها الجديدة

حي العودة:

يقع حي العودة على منطقة سهلية ضيقة على الضفة الغربية لوادي حنيفة، وذلك في شمال الدرعية على الطريق الموصل إلى سد الدرعية المعروف بـ "سد العلْب". ولم أجد في المصادر التي رجعت إليها من أشار إليه، إلا ما ذكره ابن خميس في مقالة له بمجلة الدارة؛ حيث أشار بشكل مقتضب إلى إن حي العودة من أقدم أحياء الدرعية وفوقه بأعلى الجبل "قصر الغياظي" وهو قصر ناصر بن سعود بن عبدالعزيز (ابن خميس، 1395هـ)، ولا يزال أهالي الدرعية يعرفون هذا الجزء من الدرعية بهذا الاسم.

الوضع الراهن لحي العودة:

يتميز حي العودة بموقعه المتوسط بين شمال الدرعية وجنوبها وقربه من أحياء الدرعية الجديدة أعلى الهضبة الغربية التي تمثل الامتداد العمراني الحديث لمدينة الدرعية. وتلفُّ مزارع النخيل هذا الحي من جميع جهاته باستثناء الجهة الشرقية التي يشرف بها على مجرى وادي حنيفة. وقد تم إزالة معظم مساكن هذا الحي الطينية وإعادة بناء بعضها الآخر بالمواد الحديثة بما في ذلك مسجد الحي الذي يتوسطه. وتعاني معظم مساكن الحي من التدهور نتيجة الإهمال وسوء الاستخدام من قبل عمال الشركات وغيرهم من العمالة الذين يتخذون من الحي سكناً لهم لرخص أسعار الإيجار فيه مقارنة بأحياء الدرعية الحديثة. وقد قام بعض الملاك بهدم بعض المساكن الطينية وإعادة بنائها بالخرسانة المسلحة والمواد الحديثة (الشكل 6).

الشكل (6) – حجم الإهمال الذي لحق بحي العودة شمال الدرعية، وحجم الضرر الذي لحق به، شأنه في ذلك شأن بقية أحياء الدرعية التراثية التي سكنتها العمالة

التطوير المنشود لحي العودة:

نظرا لموقع الحي المميز وقربه من سد الدرعية والمتنزه المرتبط به من جهة وتوسطه بين أحياء الدرعية القديمة والجديدة من جهة أخرى، فقد يكون التطوير المقترح لهذا الحي هو إخلاؤه من العمالة التي تسكنه كمرحلة أولى. والعمل في مرحلة ثانية على تطوير المناطق العامة في الحي وبخاصة منطقة المسجد الجامع وما حولها وربطها بشكل مناسب مع الشارع العام الموصل إلى السد من خلال ساحة لمواقف السيارات. كما يمكن إجمال أبرز المقترحات الأخرى التي تخص هذا الحي في الآتي:

- توفير بعض المحالّ التجارية التي توفر المستلزمات التي يحتاج إليها المتنزهون وغيرهم وبعض الأكشاك التي يتم فيها عرض منتجات المزارع المجاورة من ورقيات وخضار وفواكه طازجة وتمور ونحوها.
- تحفيز الأهالي على تطوير أملاكهم الخاصة كنزل تراثية ريفية مستقلة وفق مواصفات خاصة وذلك من خلال بعض القروض المالية الميسرة مع تقديم الدعم الفني لهم في ذلك.

حي العلْب:

يقع العلب[29]، وهو حي صغير نسبياً، على الضفة الغربية لوادي حنيفة، وذلك في أقصى شمال الدرعية بالقرب من سد الدرعية، المعروف باسم هذا الحي. وقد تردد ذكر اسم هذا الحي في بداية حروب إبراهيم باشا على الدرعية بعد احتلاله لبلدة ضرما. فقد توجه الباشا إلى الدرعية عن طريق شعب الحيسية واجتاز منه إلى شمال الدرعية؛ حيث نزل الملقى. فلما استقر وجنوده في هذا الموضع ركب خيله ومعه بعض المدافع ليرتاد المواقع التي يريد النزول بها عند الدرعية، حتى وصل إلى العلب فنزلوا فيه وأطلقوا قذائفهم النارية (ابن خميس، 1414هـ). وقد كان ذلك في بداية حملتهم لاحتلال الدرعية في جمادى الأولى سنة 1233هـ، التي استمرت حتى حصار الدرعية ومن ثم تدميرها في شعبان سنة 1234هـ.

الوضع الراهن لحي العلب:

يتميز حي العلب بموقعه المميز بين مزارع النخيل في هذا الجزء المتسع من السهل المطل على الوادي، وذلك بالإضافة إلى قربه من سد الدرعية والمتنزه العام المرتبط به. وعلى الرغم من صغر هذا الحي مقارنة بأحياء الدرعية الأخرى وبعده النسبي عنها، فإنه لم يسلم من استخدام بعض بيوته الطينية من قبل العمالة الذين يتخذون من هذا الحي سكناً لهم؛ مما أسهم في تدهور الحي وتلفه. وقد تم هدم جامع الحي الطيني ومسجده الوحيد، وتم إعادة بنائه بالمواد

(29) بتسكين العين وتشديد اللام.

الحديثة نحو عام 1400هـ. ويخدم هذا الجامع ما تبقى من منازل طينية محدودة بحي العلب، وذلك بالإضافة إلى العاملين في بعض المزارع المجاورة والعابرين إلى منطقة السد (الشكل 7).

الشكل (7) – لقطات لبقايا حي العلب شمال الدرعية وكذلك لقطة لسد ومتنزه العلب المجاور

التطوير المنشود لحي العلب:

على الرغم مما يعانيه الحي من إهمال وسوء استخدام، فإنه نظراً لموقعه المميز وقربه من سد الدرعية والمتنزه المرتبط به وقيمته التاريخية يمكن إجمال أبرز المقترحات التي تخصه في الآتي:

- إخلاء الحي من العمالة التي تسكنه، والعمل على تطوير المساكن الطينية المحدودة الباقية فيه وتطويرها كمحالّ لبيع الهدايا.
- الاهتمام بالجامع وتحسينه والمنطقة المحيطة به بأسلوب تراثي مناسب يعكس القيمة التاريخية لهذا الحي، مع العمل على توفير مواقف

للسيارات وزيادة أعداد دورات المياه والمواضئ لخدمة مرتادي الطريق المؤدي إلى السد الذي لا يبعد كثيراً عن الحي.

- توفير بعض الفرص الاستثمارية للملاك من خلال الشراكة مع القطاع الخاص برعاية هيئة السياحة، وذلك بإقامة بعض المحالّ التجارية التي توفر المستلزمات التي يحتاجها رواد السد والمتنزه المجاور له.

النتائج والتوصيات:

توصلت هذه الدراسة إلى عدد من النتائج، يمكن إجمالها في الآتي:

- تشترك أحياء الدرعية التراثية في عناصرها العمرانية التي تمثل مفهوم العمران الإسلامي الذي يتميز بالخصوصية واحترام الجار وعدم المضارة به، والاستدامة في البناء واستخدام المواد المحلية، إلى جانب المظهر العام للبيوت، الذي يوحي بالحياة البسيطة والبعد عن البذخ، وذلك باستثناء عدد من عناصر حي الطريف؛ حيث مقر الحكم وبيت المال وقصور الأمراء، وقد تميزت بالفخامة والعلو؛ بما عكس شخصية الدولة وقوتها آنذاك.
- كان معظم أهالي الدرعية إلى ما قبل عام 1400هـ (1980م) يعيشون في عدد من الأحياء السكنية المشيدة بمادة الطين على فترات متفاوتة (الجدول 1)، وذلك في أنسجة عمرانية متضامة تخترقها بعض الشوارع والسكك الضيقة والمتعرجة.
- اتسمت المناطق السكنية المحيطة بمركز كل حي من الأحياء التراثية بعدم وجود الطبقية بين فئات المجتمع، وهو ما يعكس مبدأ المساواة في الشريعة الإسلامية ويؤكد الترابط المجتمعي من خلال الاختلاط بين مناطق سكنى ذوي الدخول المختلفة.
- يتخذ مركز الحي في أحياء الدرعية المختلفة عادة شكلاً شبه دائري، ويتكون من ساحة مفتوحة تتفاوت في مساحتها وفقاً لمساحة الحي، وعادة ما يطل عليها مسجد الحي ويحيط بها مجموعة من الدكاكين أو المحالّ التجارية وأماكن جلوس كبار السن.

- تأثرت أحياء الدرعية التراثية بالطفرة الاقتصادية التي مرت بها المملكة خلال العقود الماضية بشكل كبير؛ فقد أدى النمو العمراني السريع والمحفزات التي قدمها صندوق التنمية العقاري، بالإضافة إلى قلة الاهتمام بتلك الأحياء من قبل البلدية إلى نزوح الأهالي إلى أحياء الدرعية الجديدة؛ مما أسهم في إهمال وفقدان الكثير من مباني تلك الأحياء التي ظلت ترزح لعدة عقود تحت قرارات الهدم والإزالة من البلدية من جهة وإهمال الملاك وتأثير العوامل البيئية من جهة أخرى (الجدول 2).

الجدول (1)

أحياء الدرعية التراثية مرتبة من شمال الدرعية إلى جنوبها مع بيان مواقعها ومساحاتها التقريبية وأبرز معالمها

م	اسم الحي	الموقع	المساحة (م2)	أبرز معالم الحي أو المعالم القريبة منه
1	حي العلب	شمال الدرعية	3600	جامع الحي، سد العلب، متنزه السد
2	حي العودة	شمال الدرعية	14200	جامع الحي، المساكن الطينية، جسر العودة
3	حي غصيبة	شمال غرب	32300	مسجد الحي، بيت المال، قصر سعود، الأسوار
4	حي الروقية	غرب الدرعية	253000	مسجد الحي، الجسر، مركز التنمية
5	حي سمحان	غرب الدرعية	186900	جامع الحي، المساكن الطينية، سوق الخضار
6	حي الظهرة	وسط الدرعية	12700	مسجد الحي، الدور الطينية، سوق سمحان
7	حي السريحة	وسط الدرعية	8200	مسجد الحي، المساكن الطينية الباقية، حديقة المطوية، ومتنزه الدرعية
8	حي البجيري	وسط الدرعية	61000	جامع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مؤسسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الثقافية، مسجد الظويهرة، أحياء الدرعية التاريخية
9	حي الطريف	وسط الدرعية	230240	قصر سلوى، بيت المال، جامع الدرعية، قصور الأمراء، قوع الخيل، قصر الضيافة وحمام الطريف، عناصر التطوير المضافة كالمتاحف، والنزل التراثية وغيرها.
10	حي المريِّح	جنوب الدرعية	41700	ميدان العلم، أحياء الدرعية التاريخية.

- تسببت هجرة الأهالي لأحياء الدرعية التراثية في انحطاط تلك الأحياء وتهالكها وتحولها إلى بيئات سلبية من جميع النواحي، فسكنتها العمالة الأجنبية التي ولدت ضغطاً كبيراً على الخدمات وخاصة المياه والصرف الصحي؛ مما فاقم المشكلة. كما مارست العمالة وبشكل كبير الإهمال وعدم النظافة للمباني وصيانتها، ناهيك عن الطرقات والساحات التي أصبحت مكباً للنفايات وتخزين الأثاث التالف وإيقاف السيارات المتعطلة إلى غير ذلك، في غياب دور مهم للبلدية في هذا الشأن؛ مما أسهم في تدهور الأحياء بشكل سريع وأفضى إلى تهدم أجزاء كبيرة منها وخرابها.

الجدول (2)

أحياء الدرعية التراثية مرتبة من شمال الدرعية إلى جنوبها مع بيان مختصر لوضعها الراهن والتطوير المقترح

م	اسم الحي	الوضع الراهن	التطوير المقترح
1	حي العلب	سكن للعمالة	إخلاء الحي من العمالة، وتطوير منطقة الجامع، مع توفير عدد من المحالّ التجارية لخدمة الزوار والمتنزهين.
2	حي العودة	سكن للعمالة	إخلاء الحي من العمالة، توفير نُزل تراثية ريفية، تطوير منطقة الجامع، مع توفير عدد من المحالّ التجارية وأكشاك بيع التمور والخضار والفاكهة الطازجة من إنتاج المزارع المجاورة، لخدمة الأهالي والزوار والمتنزهين.
3	حي غصيبة	منطقة آثار	إعادة بناء مسجد الحي، واستثمار الحي كموقع تعليمي وبحثي.
4	حي الروقية	سكن للعمالة	إخلاء الحي من العمالة، وتوفير نُزل تراثية مناسبة للباحثين ولمتدربي مركز التنمية الاجتماعية، مع توفير محالّ تجارية مصغرة ومكتبات.
5	حي سمحان	سكن للعمالة	إخلاء الحي من العمالة، ووضع ضوابط وتشريعات ميسرة ومحفزة للأهالي لتطوير عقاراتهم (كسكن للأسر المنتجة أو نزل تراثية تؤجر للسياح أو مطاعم أو مقاهٍ شعبية) مع تقديم الدعم الفني والمالي لهم. استثمار موقع مركز التنمية الاجتماعية في إقامة معهد لتنمية الحرف التقليدية مع سوق صغيرة لبيع المنتجات الحرفية.

تابع/ الجدول (2)
أحياء الدرعية التراثية مرتبة من شمال الدرعية إلى جنوبها مع بيان مختصر لوضعها الراهن والتطوير المقترح

م	اسم الحي	الوضع الراهن	التطوير المقترح
6	حي الظهرة	مساكن طينية مسيجة، تحت التطوير	العمل على بناء فندق سمحان التراثي المقترح، مع تطوير المباني والفراغات المجاورة كمبنى بلدية الدرعية القديم، وجامع سمحان ومسجد العقيلي، وسوق المزارعين، وربطها مع الفندق لتعمل كمنظومة متسقة وليس كمشاريع متفرقة ومتنافرة.
7	حي السريحة	مساكن طينية ومسجد	ترميم مسجد الحي والمنطقة المحيطة به واستثمار ذلك في خدمة مرتادي متنزه الدرعية وتقديم بعض الفعاليات المرتبطة بتعليم القرآن أو تعليم العربية لغير الناطقين بها.
8	حي البجيري	تم التطوير وفتح للجمهور من قبل هيئة تطوير الرياض	تحقيق المزيد من الاهتمام بالجوانب الثقافية في الحي واستثمار المنشآت التي تم إقامتها أو تطويرها (مثل جامع الشيخ، ومؤسسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الثقافية ومسجد الظويهرة) في ذلك. العمل على دراسة وحل مشكلة الحركة المرورية ومواقف السيارات بأسرع وقت قبل افتتاح مشاريع الطريف.
9	حي الطريف	منطقة آثار تحت التطوير	العمل على استكمال الجهود المبذولة في تطوير الحي لافتتاحه للجمهور في الموعد المحدد نهاية العام. الاهتمام بموضوع حركة المشاة وحركة عربات الخدمة داخل الحي، مع الاهتمام الخاص بحركة المشاة والمركبات خارجه، مع توفير مواقف سيارات كافية للزوار. الاستفادة من جميع الدروس والتجارب التي استخلصت من مشروع البجيري وتوظيفها في تطوير والارتقاء بالخدمات في حي الطريف عند افتتاحه.
10	حي المريِّح	تمت الإزالة، تحت التطوير	إعادة بناء الحي ومسجده بأسلوب تراثي خاص كأنموذج يحتذى في بناء المساكن الميسرة. وتأجير الدور والمحالّ على الأسر المنتجة المتميزة وفق ضوابط في ذلك.

- على الرغم من التطوير الحاصل في بعض الأحياء التاريخية بالدرعية كحي البجيري وحي الطريف، فإن بقية أحياء الدرعية التراثية تعاني من التدهور والإهمال؛ مما يستوجب الإسراع في تطوير هذه الاحياء واستثمارها بما يجعل من الدرعية بأحيائها المختلفة وبيئتها الطبيعية المميزة نموذجاً يحتذى في الحفاظ على التراث العمراني وتطويره واستثماره في تحقيق الاستدامة المنشودة.

كما خلصت هذه الدراسة إلى جملة من التوصيات، وهي:

- ضرورة وجود مخطط شامل للدرعية بجميع أحيائها التاريخية والتراثية والحديثة وعناصرها البيئية والطبيعية، بما يضمن استيعاب مشاريع التطوير القائمة والمستقبلية وتوزيعها بشكل متجانس على امتداد الدرعية من سد العلب شمالاً حتى شعيب صفار جنوباً واستثمار تلك المشاريع في تنويع الأنشطة لمرتادي الدرعية وتوفير فرص عمل ومكاسب للأهالي كشريك مهم في التطوير.
- العمل على إيجاد ضوابط عمرانية تطبيقية وتشريعات مناسبة تعمل على حماية التراث العمراني في أحياء الدرعية المختلفة، وتحفز الأهالي على الاهتمام بأملاكهم وتطويرها، وتقدم لهم الدعم الفني اللازم والقروض الميسرة بعيداً عن التعقيد والبيروقراطية.
- استثمار البعد الإنساني في مراكز الأحياء التراثية في الدرعية في تطوير فكرة الأسواق التقليدية، التي تلتزم بمبادئ الشريعة في أحكام البيع والشراء وآداب التسوق، وتتسم بتغليب حركة المشاة واعتبار المؤثرات البيئية الصحراوية ومعالجتها واستثمار مواد البناء المحلية وتطويرها، واختيار طبيعة المعروضات إلى غير ذلك؛ مما يدعم الاتصال الاجتماعي العضوي المفتوح بين أصحاب المحالّ والمتسوقين والزائرين.
- العمل على رسم شخصية وهوية مميزة وفريدة لكل حي من أحياء

الدرعية التراثية، وذلك في برنامج تطوير الدرعية في مراحله المختلفة قدر الإمكان، والعمل على تجنب التكرار والنمطية في الأنشطة بين أحياء الدرعية المختلفة، مع تأكيد الارتباط التكاملي بين تلك الأحياء عضوياً وبصرياً؛ بما يحقق الصورة الذهنية التي يراد رسمها عن الدرعية وأهميتها في التراث الوطني للمملكة.

- ضرورة معرفة تأثير مشاريع التطوير القائمة في بعض أحياء الدرعية التاريخية على الوضع الراهن في بقية أحياء الدرعية التراثية والحديثة، والعمل على تحقيق الاستدامة في جميع المشروعات والتكامل بين الأحياء المختلفة من جهة والأنشطة والفعاليات المقامة في كل منها من جهة أخرى.
- العمل على دراسة حركة المشاة وحركة المركبات ومواقف السيارات العامة في كامل مدينة الدرعية وفي المناطق التاريخية على وجه الخصوص، مع مراعاة سهولة الوصولية واعتبارات السلامة، والتعجيل بذلك قبل افتتاح حي الطريف والمشاريع المرتبطة به حتى لا تتفاقم المشكلة الحالية.
- الاهتمام بالأنشطة والفعاليات في جميع الأحياء والعمل على تنوعها، مع الحرص على تحقيق الهوية الخاصة لكل حي، وعدم التركيز على الجوانب المادية والشكلية فقط؛ وذلك لجعل مراكز الأحياء التراثية في الدرعية منصة حية للعديد من الأنشطة والفعاليات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والترفيهية، التي يراعى عند تصميمها تحقيق رؤية تراثية فريدة تحفز مرتادي المنطقة على البقاء فيها أطول فترة ممكنة وتشجعهم على تكرار زيارتها.
- العمل على تحديد ودراسة نقاط التجمع في الأحياء المختلفة وتصنيفها وفق موقعها ونوعها من حيث الحجم والأهمية والارتباط بطرق المشاة والمركبات، مع العمل على تحقيق المقياس الإنساني في تصميم المباني

والفراغات المحيطة بتلك النقاط والحرص على تأثيثها بشكل مناسب مع إضافة بعض المعالم الخاصة (Landmarks)؛ مما يساعد في توجيه المشاة وقائدي المركبات خلال حركتهم.

- ضرورة التعجيل بوضع ضوابط ومعايير واضحة لتطوير المناطق التراثية في أحياء الدرعية المختلفة من حيث الملكية والتخطيط والتصميم والحفاظ والترميم والإزالة ومزاولة النشاط؛ وذلك لتحقيق العدالة بين جميع شرائح مجتمع الدرعية من ذوي العلاقة من ملاك ومطورين ومستثمرين وغيرهم، وضمان عدم الازدواجية في المعايير.
- العمل على توظيف التراث العمراني داخل أحياء الدرعية التراثية وضمن حدودها الجغرافية من جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية والترفيهية. والعمل على تطوير تلك الأحياء والمناطق وتأهيلها؛ لتكون نموذجاً يحتذى للعمران التراثي الأصيل الذي يعكس قيم المجتمع، ويحافظ على ما تبقى من هوية للمدن التاريخية، ويعمل على تحفيز الجذب السياحي لجميع أحياء الدرعية ومحيطها العمراني وليس لحي البجيري وحي الطريف فقط.
- العمل على تحفيز الأهالي بشكل عام ووجهاء الدرعية ومثقفيها ورجال الأعمال فيها بشكل خاص على المشاركة في اتخاذ القرار فيما يخص مدينتهم والاستماع إلى توصياتهم ومقترحاتهم من خلال ورش العمل واللقاءات الدورية وغيرها؛ وذلك لاستدامة حركة التطوير والتنمية في المدينة وضمان استفادة مجتمع الدرعية من برامج التطوير والحماسة لها وجعله شريكاً مهماً فيها بدلاً من تحمل تبعاتها دون مردود معتبر لتلك الفئات على اختلافها.
- ترميم البيوت التراثية القديمة وفق آلية ومعايير خاصة، وإزالة البيوت ذات الحالة السيئة والآيلة للسقوط وإعادة بنائها على الصفة التراثية التي كانت عليها مع توفير الخدمات فيها بأسلوب مناسب. والقيام

بتحديد البيوت ذات النمط الحديث، التي لا تتناسب مع الطابع العمراني للدرعية في أحيائها المختلفة والعمل على إعادة تصميم واجهاتها بشكل يتسق مع النمط التراثي للعمارة التقليدية.

- تشجيع المتخصصين والباحثين على إجراء الدراسات والبحوث التي تهتم بالدرعية ومجتمعها من جميع النواحي بشكل عام وبتراثها العمراني بشكل خاص، والعمل على دعم تلك الدراسات مادياً ومعنوياً والإفادة من نتائجها في تفعيل برامج التطوير وخططه في الدرعية وتقويمها.
- المبادرة إلى إنشاء معهد أو مركز متخصص للعمارة والتراث في الدرعية يعنى بالتراث العمراني في جميع أرجاء الوطن، ويعمل على استخلاص قيمه وعناصره ومفرداته ويسعى إلى تطويرها وتوظيفها التوظيف الأمثل في العمارة المعاصرة. وكذلك يهتم هذا المركز برصد جميع التجارب المتعلقة بالتراث العمراني في البلدان العربية وغيرها ودراستها والاستفادة منها في توجيه الممارسين المهنيين من معماريين ومهندسين ومخططين ومقاولين وغيرهم بما يخدم المهنة ويطور فيها.
- ضرورة توجيه الباحثين في علوم العمران وغيرهم ببذل المزيد من الجهود والدراسات لتوثيق التراث العمراني للدرعية بجميع أحيائها والحفاظ عليه وتطويره واستثماره؛ وذلك للمميزات المتعددة لهذه البلدة، سواء من حيث موقعها وقربها من مدينة الرياض أو تاريخها وارتباطها الوثيق بتاريخ المملكة أو من خلال محيطها البيئي واتصالها بوادي حنيفة وروافده.

المراجع

إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني. (2013). *روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية*. الجزء الأول (1500–1840). دار الساقي.

أبو قايد، أحلام بنت علي. (1431هـ). *الدولة السعودية الأولى من خلال كتابات الرحالة والمستشرقين البريطانيين: عرض وتحليل ونقد (1157–1233هـ/ 1744–1818م)* [رسالة دكتوراه غير منشورة]. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. جامعة أم القرى.

بدول، روبن. (1409هـ). *الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية*. ترجمة: عبدالله آدم نصيف. مطبعة جامعة الملك سعود.

بن عيسى، إبراهيم بن صالح. (دون تاريخ). *تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (700–1340هـ)*. منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.

بن بشر، عثمان بن عبدالله. (1402هـ). *عنوان المجد في تاريخ نجد*. الجزء الأول. (ط. 4). دارة الملك عبدالعزيز.

بن خميس، عبدالله بن محمد. (1395هـ). الدرعية: معالم وأطلال. *مجلة الدارة. (1)* (18–19). دارة الملك عبدالعزيز.

بن خميس، عبدالله بن محمد. (1414هـ). *الدرعية العاصمة الأولى*. مطابع الفرزدق.

بن قاسم، عبدالرحمن بن محمد. (1388هـ). *الدرر السنية في الأجوبة النجدية*. *9*(11). مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر.

الجديد، منصور بن عبدالعزيز. (1432هـ). *تجربة في تعليم التراث العمراني من خلال التدريب الصيفي للطلاب: حي البجيري بالدرعية: حالة دراسية*. سجلات المؤتمر الدولي الأول للتراث العمراني في الدول الإسلامية. (1677–1720). الهيئة العامة للسياحة والآثار.

الجديد، منصور بن عبدالعزيز. (2003). أنماط العمارة الأصيلة في المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية. *مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية*. *30*(115). (197–214). مجلس النشر العلمي. جامعة الكويت.

العجلاني، منير. (1414هـ). *تاريخ البلاد السعودية – الدولة السعودية الأولى*. الجزء الرابع: عهد الإمام عبدالله بن سعود. (ط. 2). دار الشبل.

العريني، عبدالرحمن بن علي. (2003). الأساليب التربوية المستمدة من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. *دارة الملك عبد العزيز*.

العيسى، محمد الفهد. (1415هـ). *الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى*. مكتبة العبيكان.

العيسى، مي عبدالعزيز. (1417هـ). *الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى*. دارة الملك عبدالعزيز.

فيسي، وليام. (1999). *الدرعية والدولة السعودية الأولى*. ترجمة مؤسسة التراث.

قاسم، عبدالحكيم عبدالغني. (2009). *الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى في القرن الثامن عشر*. مكتبة مدبولي.

القرني، محسن بن فرحان. (2012). *منهج مقترح لإعادة تأهيل وتطوير التراث العمراني في القرى السعودية* [رسالة دكتوراه غير منشورة]. كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود.

قندقجي، ليلى. (2001). *المعايير التصميمية للتدخل في المباني التاريخية في المدينة القديمة* [رسالة ماجستير في التصميم المعماري]. كلية الهندسة المعمارية، جامعة حلب.

المطوع، عبدالله بن محمد. (1424هـ). *مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى. الجمعية التاريخية السعودية*. الإصدار 14.

الهيئة العامة للسياحة والآثار. (1431هـ). *مبادرات الهيئة العامة للسياحة والآثار تجاه التراث العمراني*.

الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض. (2004). البرنامج التنفيذي للمخطط الاستراتيجي الشامل لمدينة الرياض. نشرة تطوير. (40).

Abdelmonem, M. (2012). *"Modernity in Traditional Quarters: Corrective Actions for Sustainable Historical Fabric of The Arab City"* [Proceedings of The 3rd International Architectural Conservation Conference], Dubai.

Al Saud, Nouf bint Mohammed bin Fahad. (2014). *Impact of Urban Heritage: Conservation Policies on Historical Sites in Saudi Arabia*. Saudi Commission for Tourism and National Heritage, National Heritage Center, Riyadh.

Emrick, M. and Meinhardt, C. (1990). *The Reconstruction of Traditional Structures in Al-Turaif Quarter - Dir'iyah, Saudi Arabia* [Proceedings of the 6th International Conference on the Conservation of Earthen Architecture]. Las Cruces, New Mexico, USA.

Karmakar, A. (2012). *"Conservation of Contemporary Buildings & Sites (Case Study- Dubai)"* [Proceedings of The 3rd International Architectural Conservation Conference], Dubai.

Mengin, F. (1932). *Histoire de L, Egypte sous le Gouvernement de Mohammad Aly*, Tomes II, Paris.

Sadleir, G. F. (1866). *Diary of a Journey Across Arabia, From El Khatif to Yambo*, During the year 1819, The British government, Bombay.

Heritage Quarters of Addiriyah
Existing Conditions and Proposed Development

Dr. Mansour A. Al-Jadeed

Abstract

The Goal of the Study: The study aims to introduce the heritage quarters of Addiriyah city, monitor the current situation in those neighborhoods, and present various urban and architectural proposals for development in order to build an integrated model for the care of heritage areas and urban oases.
Study Methodology: The study adopted the descriptive analytical approach through theoretical research and reference to historical bibliography, as well as through field research, which was represented in many visits to the study area and meeting with many of the elderly residents of Addiriyah city and its inhabitants.
Type of the Study: The study is classified as a documentary survey of the situation of heritage quarters of Addiriyah city and gives several proposals to invest them in an effective and sustainable way.
Study Results: The study showed that there are ten heritage quarters in Addiriyah city that share distinctive urban and architectural elements. The study focused on the importance of developing these quarters and investing them in the Historical Development Program of Addiriyah.
Study Conclusion: The study concluded with a number of important recommendations, the most important of which is the need to have a comprehensive plan for Addiriyah city in all its historical, heritage, and modern quarters, and its environmental and material elements, in order to guarantee the absorption of existing and future development projects and achieve sustainability in its various dimensions.

Keywords: Urban heritage, Traditional architecture, Historical quarters, Addiriyah master plan, Historical development program of Diriyah.

د. منصور بن عبدالعزيز الجديد، حاصل على درجة الدكتوراه في فلسفة العمارة من كلية ويلز للعمارة بجامعة كاردف بالمملكة المتحدة عام 1994. يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً للعمارة وتقنية البناء بقسم العمارة وعلوم البناء بجامعة الملك سعود، وعضواً للجنة العلمية لكرسي الأمير سلطان بن سلمان للتراث العمراني، وعضواً للمجلس الاستشاري لوحدة الحفاظ على المباني والمواقع التراثية وتصاميمها بكلية العمارة والتخطيط. الاهتمامات البحثية: التراث العمراني، والعمارة التقليدية، وعمارة المساجد، وتقنية وأنظمة البناء، وطرق التشييد الحديثة في المباني.

(maljadeed2002@yahoo.com & aljadeed@ksu.edu.sa)